❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(اعلمْ ـ رحمكَ اللهُ ـ أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ؛

الأُولى: العِلْمُ؛ وهوَ معرفةُ اللّهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ.

الثانية: العملُ به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه).

الشَّرْح

قوله: (اعلمْ ـ رحمكَ اللهُ ـ): ابتدأ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا اللفظ «اعلم» وهو صيغة أمر تحمل المخاطب على الانتباه، وقد جرى الشيخ على نسق القرآن، فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

ومراتب الإدراك ستة(١):

أولًا: العلم، وتعريف العلم: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا. كقولك: وقعت غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة.

ثانيًا: الجهل البسيط، وهو: عدم الإدراك بالكلية. كقولك: لا أعلم متى وقعت غزوة بدر.

ثالثًا: الجهل المركب، وهو: إدراك الشيء على خلاف ما هو

(١) ينظر: التحبير شرح التحرير (١/ ٢٥١، ٢٥٢)، شرح الكوكب المنير (١/ ٧٧).

Black plate (28,1)

عليه. كقولك: وقعت غزوة بدر في السنة الثالثة من الهجرة.

رابعًا: الظن، وهو: إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح. كظنك أن غزوة بدر وقعت في السنة الثانية من الهجرة مع نوع تردد.

خامسًا: الشك، وهو: إدراك الشيء مع احتمال ضد مساوٍ. كترددك في وقوعها في الأجلين على حدٍّ سواء.

سادسًا: الوهم: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح. كظنك أن غزوة بدر وقعت في السنة الثالثة من الهجرة مع نوع تردد.

ويقسمون العلم أيضًا إلى قسمين:

القسم الأول: علم ضروري.

القسم الثاني: علم نظري.

فالعلم الضروري: هو الذي يكون إدراك العلم فيه بمقتضى الضرورة؛ إما ضرورة عقلية أو حسية. فمن الضرورة الحسية العلم بأن السماء فوقنا، والأرض تحتنا، والعقلية العلم بأن ١+١=٢؛ لأنها تدرك بالتفكير والحساب، فهذا يسمى عند العلماء بالضرورة العقلية.

ومن العلم الضروري ما ثبت بالتواتر؛ كالقرآن العظيم؛ لأن كتاب الله ﷻ محفوظ، منقول إلينا نقلًا متواترًا لا خلاف فيه، ولا يخرم منه حرف واحد.

ومنه الأحاديث المتواترة التي رواها جمع كثير يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة، عن مثلهم، وأسندوه إلى شيء محسوس؛ فالأحاديث المتواترة تفيد العلم الضروري القطعي.

وأما العلم النظري فالمراد به: ما يحتاج إلى نظر واستدلال؛ ولهذا يحصل فيه خلاف بين أهل العلم، فتجد العلماء يختلفون في بعض

Black plate (29,1)

المسائل؛ كنواقض الوضوء، مثل: لحم الجزور، ومس الذكر، فيكون العلم بأحد الأمرين علمًا نظريًّا، لا علمًا ضروريًّا.

قوله: (رحمكَ اللهُ): وهذا دعاء للمخاطب بحصول الرحمة له من عند الله تعالى.

قوله: (أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائل): أفاد الشيخ أن الوارد ذكره من العلم الواجب تعلمه. و(المسألة)، تطلق عند العلماء على القضية من قضايا العلم، سميت بذلك؛ لأنه يجري فيها البحث والسؤال.

قوله: (الأُولى: العِلْمُ؛ وهوَ: معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ):

قوله: (الأُولى: العِلْمُ؛ وهوَ: معرفةُ اللهِ): أول المراتب العلم؛ لأن العلم مفتاح كل شيء، فأول ما يجب على المكلف هو العلم؛ لأنه لا فائدة من عمل بلا علم، فلا بد من العلم، وأشرف أنواع العلوم على الإطلاق: ما تضمن شرف المعلوم، فشرف العلم ينبني على شرف المعلوم، وأشرف معلوم هو الله سبحانه وبحمده؛ ولهذا كان أوجب الواجبات هو العلم بالله، وفسر العلم بأنه معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة؛ لكن ليس المراد المعرفة النظرية المجردة، بأن يُقر الإنسان بوجود الله، وببعثة نبيه ﷺ، وبأنه يوجد دين على وجه الأرض يقال له الإسلام، وإنما المقصود المعرفة التي تثمر الإيمان والاتباع، فذلك هو العلم المطلوب.

فالعلم بالله المقصود به: العلم به بمقتضى أسمائه وصفاته، المورث لطاعته وعبادته سبحانه وبحمده.

Black plate (30,1)

قوله: (ومعرفةُ نبيِّهِ): وهو العلم بشخص محمد بن عبد الله الذي يورث: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع على لسانه، ليس مجرد العلم النظري أو التاريخي.

قوله: (ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ): وهو العلم بأن لله دينًا افترضه على البشر ليعبدوه، وأنه خلقهم لذلك، وأن ذلك الدين هو الذي شرعه لأنبيائه من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ. وهو دين الإسلام الذي أمر به الناس جميعًا.

فالإسلام له معنيان: معنى عام، ومعنى خاص:

الإسلام بالمعنى العام وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص له من الشرك. وهو ما بعث الله به جميع أنبيائه ورسله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]، فجميع أنبياء بني إسرائيل مسلمون، وكما قالت بلقيس ملكة سبأ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤]، فدين الله على مر العصور هو الإسلام، ليس لله دين سواه.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص: فهو ما بعث الله به محمدًا ﷺ من الهدى، ودين الحق، المتضمن للعقائد الصحيحة، والشرائع العادلة والأخلاق الرفيعة، والآداب العالية، الناسخ لما قبله من الأديان.

قوله: (بالأدلةِ)؛ أي: أن تكون هذه المعارف مقرونة بالأدلة، والدليل: هو ما يرشد إلى المدلول. فينبغي لنا معاشر المؤمنين أن ندرك

Black plate (31,1)

العلم بدليله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [محمد: ١٤]، من كان على بينة من ربه ليس كمن ﴿يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ [الملك: ٢٢]، أو على جري العادة، أو بحكم الوراثة، أو ما أشبه ذلك، فينبغي ألا تعقد على مسألة من المسائل إلا وقد فقهت دليلها؛ لكي تعبد الله على بينة.

والأدلة متنوعة منها:

الأدلة السمعية: فهي ما جاء عن الله تعالى أو عن أنبيائه، فما ثبت بكتاب الله أو في الصحيح عن رسول الله ﷺ، فهو دليل سمعي، يجب الصيرورة إليه، وتقديمه على كل شيء.

الأدلة العقلية: وذلك أن الله ﷻ فضلنا على سائر المخلوقات بهذه العقول، وجعل العقل من وسائل الوصول للعلم، نجد قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨]، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٢٤]، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: ٣]، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، والله تعالى قد ضمن كتابه أدلة عقلية وإليكم هذا المثال: عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧] قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ)[1]، هاتان الجملتان دليلان عقليان صريحان لا يُبقيان مجالًا لأي شبهة، ﴿أَمْ

(١) أخرجه البخاري، رقم: (٤٨٥٨)، ومسلم، رقم: (٤٦٣).

Black plate (32,1)

خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥]، فلا هذا ولا ذاك. فالله خالقهم فهو المستحق للعبادة وحده.

أدلة حسية: وهي ما أودع الله تعالى في ملكوت السماوات والأرض، ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]؛ ولهذا نجد في كتاب الله: قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الواقعة: ٥٨]، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الواقعة: ٦٣]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الواقعة: ٦٨]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الواقعة: ٧١].

أدلة فطرية: وهي ما جبل الله عليه النفس الإنسانية من الحق، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم: ٣٠]، ولأجل ذا حمل بعض العلماء قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] على ميثاق الفطرة[(١)]، فقد أودع الله تعالى في القلب وفي النفس، الفطرة السليمة، وهي الدين القيم ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، دين الإسلام. فجميع الأدلة تتعاضد في الدلالة على الحق، فلا عذر لمبطل.

قوله: **(الثانيةُ: العملُ بهِ)**: العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل.

لا بد من العمل لا يكفي مجرد العلم؛ لأن العلم حجة لك أو

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٠)، طبعة دار طيبة، شرح الطحاوية، ت: الأرناؤوط (١/ ٣٠٨).

Black plate (33,1)

عليك، فإن عملت به فهو حجة لك، وإن أهملته كان حجة عليك؛ ولهذا نجد في كتاب الله كثيرًا القرن بين العمل والإيمان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ١٧٣]؛ فالعمل ثمرة العلم، وقد بعث الله نبيه محمد ﷺ بأمرين: بالهدى ودين الحق؛ فالهدى هو: العلم النافع، ودين الحق هو: العمل الصالح[(١)].

واعلم أن العمل يكون أحيانًا قلبيًّا، وأحيانًا يكون بدنيًّا، وأحيانًا يكون لسانيًّا، وأحيانًا يكون ماليًّا، وبعض الناس يتصور أن العمل يكون في حركة الأبدان فقط، كلا!؛ فالعمل أوسع من ذلك، فإذا أقمت في قلبك الرجاء والخوف والتوكل والمحبة والخشية والإنابة، فأنت في الحقيقة تعمل بعلمك؛ لأن هذه المذكورات أعمال قلوب، وأعمال القلوب أشرف من أعمال الجوارح.

ومن الأعمال:

أعمال بدنية: كالصلاة، والحج، وإماطة الأذى عن الطريق.

أعمال مالية: وهو ما يبذله الإنسان من زكاة وصدقة.

أعمال قولية: وهو ما يلفظ به اللسان من الذكر وتلاوة القرآن وغير ذلك.

قوله: (الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ): من حصّل العلم واشتغل به، حمله ذلك على الدعوة إليه تلقائيًّا؛ لأن المؤمن كالزهرة يفوح أريجها ولا تُمسك؛ بل يخرج وينتشر حولها، وكذلك المؤمن علمه بدرجات متفاوتة، بحسب ما آتاه الله.

(١) ينظر: تفسير السعدي «تيسير الكريم الرحمٰن» (ص٣٣٥).

Black plate (34,1)

فالدعوة إلى الله ﷻ من لوازم العلم والعمل ومن الأمور التي تجب على كل مسلم بقدر ما آتاه الله؛ ولهذا قال الله ﷻ مخاطبًا نبيه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ﴾ [الشورى: ١٥]، فيجب على كل مؤمن أن يستصحب هذه المرتبة وهي الدعوة، لا يقولن قائل: الدعوة من خصائص هيئة كبار العلماء، أو من خصائص حملة الشهادات الكبرى! أو نحو ذلك؛ فالدعوة إلى الله واجب كل مؤمن فيما أعلمَه الله تعالى إياه وأوقفه عليه.

ولا بد أن يتأدب الداعية بالآداب القرآنية؛ بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وفضل الدعوة عظيم فإنه قد قال ﷺ لعلي يوم خيبر: «**لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(١) وقال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»(٢)، وكذلك من دعا إلى ضلالة؛ فلهذا نجد أن الله تعالى يسمي هؤلاء أئمة، وهؤلاء أئمة، فأهل الإيمان: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]، وأهل الضلالة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ﴾ [القصص: ٤١].

قوله: (الرابعةُ: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ): من علم وعمل ودعا،

(١) أخرجه البخاري، رقم: (٢٩٤٢)، ومسلم، رقم: (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم: (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

Black plate (35,1)

فلا بد أن يُبتلى؛ فلذلك عليه أن يوطن نفسه على الصبر، قال لقمان رَحِمَهُ اللَّهُ في مواعظه لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧]، فمن أمر ونهى ودعا، فليتوقع حصول الأذى القولي، والأذى المعنوي، فينبغي أن يوطن نفسه على الصبر فيما يدعو إليه، ولا يظن أنه إذا دعا إلى الله سيستقبل بالورود والرياحين، وتُفسح له المجالس؛ بل سيلحقه من الأذى والابتلاء بقدر إيمانه. فعن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ؛ فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[(١)].

والصبر لغة: الحبس والمنع.

والمراد به: حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي والسخط، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية.

ومنزلته في الدين عظيمة فهو كمنزلة الرأس من الجسد، وهو أنواع:

فمنه الصبر على طاعة الله.

ومنه الصبر عن معصية الله.

(١) أخرجه أحمد، رقم: (١٤٨١)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: (١٤٣).

Black plate (36,1)

ومنه الصبر على أقدار الله المؤلمة.

ثم إنّ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن قرر المراتب الأربع، أتبع ذلك بالدليل فقال:

z:/Mkt2021/Jawzi/kadi/osul thalatha.3d/70x100/Saturday 17th April 2021/Sanabel Press سحب ثاني/ الأصول الثلاثة

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(والدليلُ قولُه تعالَى: بسم الله الرحمـن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣]).

قالَ الشافعيُّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالَى ـ: لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلَّا هذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ).

الشَّرْح

قوله: (﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾): أقسم الله في مستهلها بالعصر وهو الدهر والزمان، وجواب القسم **قوله**: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾). والإنسان ها هنا جنس الإنسان بدليل الاستثناء بعد ذلك، فهو في خسار وبوار إلا من استثنى الله تعالى: في **قوله**: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾)؛ أي: صدقوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، ونطقوا بألسنتهم، فلا بد أن يكون عملًا صالحًا والعمل الصالح هو ما وافق السُّنَّة، وما سواه فإنه لا يكون صالحًا.

وهاتان الجملتان: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، جمعتا بين الإخلاص والمتابعة؛ فالإيمان يدل على إخلاص العبادة لله تعالى، والعمل الصالح يدل على المتابعة.

قوله: (﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾)؛ أي: أوصى بعضهم بعضًا، فهي مفاعلة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالالتزام به والتمسك به، وما أحوج أهل الإيمان إلى التواصي بالحق؛ فإن المؤمن إذا رأى أن أخاه يشدّ أزره، قوي؛ ولهذا قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِى ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ

Black plate (38,1)

أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٥]، وفي هذا لفتة لطلبة العلم أن يتعاونوا فيما بينهم، ويتواصوْ بالحق، وتدارس العلم فيما بينهم.

قوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾؛ أي: يصبر بعضهم بعضًا على ما يلقون في ذات الله، فمن تأمل في هذه السورة العظيمة وجد أنها دلت على المراتب الأربع السابقة.

قوله: (قالَ الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ تعالَى): الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ولد في غزة ـ فك الله أسرها ونصر أهلها ـ، سنة ١٥٠هـ، وكانت وفاته سنة ٢٠٤هـ، وعلى قصر عمره رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو إمام متبوع من أئمة المسلمين.

قوله: (لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلَّا هذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ): ليس مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه السورة تغني عن بقية القرآن والسُّنَّة؛ بل المقصود بالحجة؛ يعني: حجة العبودية والاتباع. وأما تفاصيل الدين ومعرفة مفردات الشريعة فلا شك أن السورة لم تتضمنها، ولكن هذه السورة أصل عظيم في التوحيد والاتباع، والتواصي بالحق والصبر.

Black plate (39,1)

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال البخاريُّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالى ـ: بابٌ العلمُ قبلَ القولِ والعملِ.

والدليلُ قولُه تعالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ).

الشَّرْح

قوله: (وقال البخاريُّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالى ـ): هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، كانت ولادته في بخارى ـ وإليها ينسب ـ سنة ١٩٤هـ، ووفاته سنة ٢٥٦هـ، وهو والشافعي من أئمة الدين، الأول في الفقه، والثاني في الحديث.

قوله: (بابٌ العلمُ قبلَ القولِ والعملِ): قيل إن فقه الإمام البخاري في تراجمه، فلم يكن يخلط كلامه بكلام رسول الله ﷺ؛ بل يكتفي بتراجم يبوب فيها أبوابًا تدل على عميق فقهه رَحِمَهُ اللَّهُ، فمن ذلك قوله هنا: «بابٌ: العلمُ قبلَ القولِ والعملِ».

قوله: (والدليلُ قولُه تعالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ): وهذا ملحظ لطيف، واستنباط دقيق، فأمره بالعلم قبل الاستغفار، مما يدل على البداءة بالعلم قبل القول والعمل.

❁ ❁ ❁

z:/Mkt2021/Jawzi/kadi/osul thalatha.3d/70x100/Saturday 17th April 2021/Sanabel Press سحب ثاني/ الأصول الثلاثة